الفصل الثالث

علم البديع في تفسير السَّمين الحلبي

البديع لغةً: بَدَعَ الشيءَ يبدعه بَدعاً وابتدعَهُ: أنشأهُ وبدأهُ، وأبدَعَتْ الشيءَ اخترعَه لا على مِثالٍ سابقٍ... والبديعُ من أسماء الله تعالى، والبديع: الجديد[1].

وهو **في الاصطلاح**: هو علمٌ يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهو ضربان: معنوي ولفظي[2].

فالبديع المعنوي ما كان التحسين فيه يرجع إلى المعنى والبديع اللفظي ما كان التحسين فيه يرجع إلى اللفظ.

وأوَّل من وضع هذا العلم هو عبد الله ابن المعتز العباسي (ت ٢٧٤هـ)، وقد تابعه في وضع أصول هذا العلم، في عصره، قدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧هـ)، ثم جاء بعده كثيرون ألَّفوا في هذا العلم وزادوا فيه، منهم أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)[3] وابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ)[4] وغيرهما.

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (بدع).

(٢) ينظر: التلخيص، ص٢٤٨، والبيان الحديث في علوم البلاغة والعروض، ص١٠٧.

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين، ص٢٦٧.

(٤) ينظر: العمدة: ٢٦٢/١.

المبحث الأول

المحسنات المعنوية

◈ أولاً: المشاكلة:

المشاكلة (لغةً): الشكل: الشبهِ والمِثْل، وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه[١].

المشاكلة (اصطلاحاً): هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً[٢].

وسمَّاه الرماني بالمزاوجة[٣]. وقد تناوله الكثير من أهل البلاغة المتقدمين والمتأخرين، وإنَّ أول من أطلق عليه تسمية المشاكلة أبو علي الفارسي كما نص عليه الدكتور أحمد مطلوب[٤].

والمشاكلة نوعان: مشاكلة تحقيقية ومشاكلة تقديريَّة[٥].

وقد تناول السَّمين الحلبي المشاكلة في تفسيره، وأورد لها تسميات متعددة كما سيأتي في الأمثلة فيسميها مقابلة وازدواج وتجانس ومماثلة إلاَّ أنَّ التسمية الغالبة هي المشاكلة.

ومن أمثلة المشاكلة عند السَّمين الحلبي مما جاء في قوله تعالى:

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (شكل).

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، ص٤٢٤، ومعترك الأقران: ٣١٢/١.

(٣) ينظر: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل، ص٩٩.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٥٨/٣.

(٥) التلخيص، ص٣٥٦، والإيضاح: ٣٨٤/٢.

﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨]، قال السَّمين الحلبي معتمداً على رأي الزمخشري: «قال الزمخشري: وهي أي: الصبغة من صبغ، كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى تطهير الله، لأنَّ الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء المعمودية، ويقولون هو تطهير لهم، فأمر المسلمين أن يقولوا: آمنا وصبغنا الله صبغة لا مثل صبغتكم، وإنَّما جيء بلفظ الصبغة على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلاً يصنع الكرم»[(١)]. وهذا رأي أغلب المفسرين[(٢)].

ومنه قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة: من الآية ١١٦]، قال السَّمين الحلبي: «وأتى بقوله: «ما في نفسك» على جهة المقابلة والتشاكلِ لقوله: «ما في نفسي» فهو كقوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٤]، وكقوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [البقرة: من الآيتان: ١٤-١٥]»[(٣)].

وهذا ما ذكره الرازي وابن جزي وأبو حيان وغيرهم[(٤)]، وسمّاها ابن

---

(١) الدر المصون: ٣٨٨/١، وينظر: الكشاف: ٢٢٢/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٠٢/١، ومدارك التنزيل: ٧٣/١، والبحر المحيط: ٥٨٤/١، وأنوار التنزيل: ٤١٢/١، واللباب في علوم الكتاب: ٥٢٦/٢، وتفسير السراج المنير: ٨٧/١.

(٣) الدر المصون: ٦٥٦/٢.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١١٢/١٢، والتسهيل في علوم التنزيل: ٣٤٣/١، والبحر المحيط: ٦٤/٤، وأنوار التنزيل: ٣٨٣/٢، وإرشاد العقل السليم: ١٠١/٣.

عطية مقابلة لفظية قائلاً: «وذكر النفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي يقتضيها الإيجاز، وهذا ينظر من طرف فهي كقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٤]»[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، قال السَّمين الحلبي: «سمّيت بذلك لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]»[2].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[3]، وقال البيضاوي: «أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم، والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة؛ لأنَّها مثل المعاقب عليه، ومنه المثال للقصاص»[4].

◈ ثانياً: الطباق:

الطباق لغةً: قال ابن منظور: «طابقه مطابقة وطِبَاقاً، وتطابق الشيئان: تساويا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق. وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد والزقتهما»[5].

---

(١) المحرر الوجيز: ٣٠٩/٢.

(٢) الدر المصون: ٢٢٨/٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٩/٥، وتفسير الجلالين: ٣٢٢/١، وإرشاد العقل السليم: ٦/٥.

(٤) أنوار التنزيل: ٣١٨/٣.

(٥) لسان العرب، مادة (طبق).

الطباق اصطلاحاً: عرَّفه أبو هلال العسكري بقوله: «هي الجمع بين الشيء وضده في جزء منه أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد»[1]، وزاد عليه القزويني: «أي: معنيين متقابلين في الجملة»[2]، ثم قسمه على قسمين: الأول طباق الإيجاب، والثاني: طباق السلب[3].

وقد عرَّفَ مفسرنا السَّمين الحلبي الطباق قائلاً: «الطباق والتضاد، وهو نوع من البديع وهو أن يُذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه»[4].

ومن أمثلته مما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «واشتملت الآية على أنواع من البديع... منها الطباقُ وهو الجمعُ بين متضادَّين أو شِبهِهِمَا، وذلك في قوله: «تؤتي الملك وتترع» وفي «تعز وتذل»، وفي قوله: «بيدك الخيرُ» أي: والشرُّ عند بعضهم، وفي قوله: «الليل والنهار» وفي قوله: «الحي والميت»»[5].

---

(١) كتاب الصناعتين، ص٣٠٧.

(٢) الإيضاح: ٣٣٤/٢، والتلخيص، ص٣٤٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) الدر المصون: ٢١٤/٦.

(٥) المصدر نفسه: ٥٨/٢.

وهذا ما ذكره أبو حيان[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: من الآية ٣٦]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ويقدر» أي: يُضَيِّقُ بدليل مقابلته ليبسُطُ وهذا هو الطباق البديعي»[2].

وهذا مما ذكره ابن عادل والشربيني[3].

وفي مثال آخر ذكر السَّمين الحلبي نوعين للطباق في آية واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «إن تبدوا» و«إن تخفوا» نوع من البديع وهو الطباق اللفظي. وفي قوله: «وتؤتوها الفقراء» طباقٌ معنوي[4]، لأنَّه لا يُؤتي الصدقات إلاَّ الأغنياءُ، فكأنَّه قيل: إن يُبْدِ الأغنياءُ الصدقات، وإنْ يُخفِ الأغنياءُ الصدقات، ويُؤتُوها الفقراء، فقابل الإبداءَ بالإخفاءِ لفظاً، والأغنياءَ بالفقراءِ معنى»[5].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[6].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢/٤٤٠.

(٢) الدر المصون: ٥/٤٤٩.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٦/٧٢، وتفسير السراج المنير: ٣/٢٥٣.

(٤) هو مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ. (ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/٦٧).

(٥) الدر المصون: ١/٦٥١.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٢/٣٣٨، واللباب في علوم الكتاب: ٤/٤٢٤، وروح المعاني: ٣/٤٤.

وأمثلته كثيرة[1].

◈ ثالثاً: المقابلة:

المقابلة لغةً: قال ابن منظور: قابل الشيء مقابلة وقبالاً: عارضه، والمقابلة المواجهة والتقابل مثله[2].

وفي الاصطلاح: عرَّفها أبو هلال العسكري بقوله: «المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة والمخالفة»[3].

وتناول السَّمين الحلبي المقابلة في تفسيره، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓـُٔ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨]، قال السَّمين الحلبي مُبيناً المقابلة: «قوله: «والبصير» اعلم أنَّ التقابل يجيء على ثلاثِ طرائق:

أحدها: أن يُجاور المناسبُ ما يناسبهُ كهذه الآية.

والثاني: أن يتأخَّر المتقابلان كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ [هود: من الآية ٢٤].

والثالثة: أن يُقدَّمَ مقابلُ الأول ويؤخِّرَ مقابلُ الآخرَ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٠]، وكل ذلك تَفَنُّنٌ في البلاغة»[4].

---

(١) ينظر: الدر المصون: ٤٨٢/١، ٥٠٢/١، ٦٦٤/١، و٢٥٠/٢، ٨٩/٤.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (قبل).

(٣) كتاب الصناعتين: ٣٣٧.

(٤) الدر المصون: ٤٩/٦.

فإنَّ ما سبق يُبيِّن لنا مدى فهم مفسرنا العميق للمقابلة ومعرفته بها، وإن لم يورد نصاً صريحاً للتعريف بها.

وهذا ما ذكره أبو حيان وغيره من المفسرين[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، قال السَّمين الحلبي: «وهذا من أحسن المقابلة حيث قال: «عذب فرات وملح أجاج»»[2].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا المعنى.

ومن المقابلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: من الآية ٢٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «وفي الآخرة» خبر مقدم، وما بعده مبتدأ، أخبر أنَّ في الآخرة عذاباً شديداً ومغفرةً منه ورضواناً، وهذا معنى حسن، وهو أنَّه قابل العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا المعنى.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥]، قال السَّمين الحلبي: «وجمع الصفتين جمع سلامة وأخرين جمع تكسير؛ لأجل المقابلة، وهو نوع من الفصاحة»[4].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٤٥٢/٧، واللباب في علوم الكتاب: ٧٤/١٧، وتفسير السراج المنير: ٣٩٢/٣، وصفوة التفسير: ١٥٩/٣.

(٢) الدر المصون: ٢٥٨/٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٩/٦.

(٤) الدر المصون: ٣٦٦/١.

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا المعنى.

وأمثلته كثيرة[1].

◈ رابعاً: الالتفات وأنواعه:

الالتفات لغةً: قال ابن منظور: لفتَ وجههُ عن القومِ: صرَفَهُ، والتفتَ التفاتاً... والتفت إليه صرف وجهه إليه، ويقال لَفَتَ فلاناً عن رأيه، أي: صرفته، ومنه الالتفات[2].

وهو **في الاصطلاح**: عرَّفه ابن المعتز بقوله: «هو انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه معنى آخر»[3].

وعرف هذا الأسلوب من العلماء منذ عهد مبكر، وقد أدى ذلك إلى افتتانهم به وتصرفهم فيه، حتى سمِّيت بتسميات عدة تكاد تتفق في المعنى اللغوي لهُ، فالفراء سمَّاه (الانتقال) في كتابه[4]، وعدَّه أبو عبيدة باباً من أبواب المجاز، إذ أطلق عليه الترك والتحويل[5]. وسمّاه ابن قتيبة مخالفة ظاهر اللفظ معناه[6]. وقد تناوله أغلب علماء العربية بتسميات مختلفة لكنها تدور في فلك واحد، وهو الالتفات أو العدول.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/٥٠٢، ٢/٢٢٠، ٣/٥٢، ٣/٣٩١، ٣/٤٥٩، ٤/٤٥، ٥/٤٦٥، ٦/٤٩، ٦/٥٣٥، ٦/٥٨٢.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (لفت).

(٣) البديع، ص١٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ١/٦٠.

(٥) ينظر: مجاز القرآن: ١/٣١١، و٢/٢٣٩، وينظر: فن الالتفات في البلاغة العربية، ص١٣.

(٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص٨٩.

وللالتفات فوائد منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملآل، لِما جُبِلت عليه النفوس من حُبِّ التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة[1].

أما الخاصة فتختلف بخواص مجالاتها، وقد ذكرها الزركشي وهي بحسب الأغراض، منها للتعميم، والتنبيه، والتتميم، والمبالغة، والاختصاص، والاهتمام، والتوبيخ[2].

ولأهمية هذا الأسلوب في إعطاء النص إيحائيَّة عالية ودلالة قوية نجده كثيراً ما يتكرر في آيات القرآن الكريم مما جعل أكثر المفسرين يهتمون به اهتماماً ملحوظاً، ومنهم مفسرنا السَّمين الحلبي الذي كان ملمَّاً بكل آية تحمل التفاتاً فيذكره ويذكر غرضه البلاغي ويحلله، ونجد ذلك في مواضع كثيرة من تفسيره.

١- الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ٢٠-٢١]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «هذا يوم الفصل» من قول الباري تعالى، وقيل الجميع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله: «تكذبون» إما التفاتاً من التكلم إلى الخطاب وإما مخاطبة بعضهم لبعض»[3].

---

(١) ينظر: البرهان، ص٨٢٧، والإتقان: ٣/٢١٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٢٧-٨٢٩.

(٣) الدر المصون: ٥/٤٩٩.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «ومالي لا أعبد» أصل الكلام: وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنهم ليكون الكلام أسرع قبولاً»[١].

وهذا التوجيه للمعنى موافق لآراء المفسرين[٢]، قال الشربيني: «أصله: وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنه ليكون الكلام أسرع قبولاً حيث أراد لهم ما أراد لنفسه والمراد: تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره»[٣].

٢- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: من الآية ٨٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «إلاَّ الله» استثناء مفرغ، لأنَّ ما قبله مفتقرٌ إليه. وفيه التفاتٌ من التكلم إلى الغيبة، إذ لو جرى الكلامُ على نَسَقَه لقيل: لا تعبدون إلاَّ إيانا، لقوله: «أخذنا». وفي هذا الالتفات من الدلالة على عِظَم هذا الاسم والتفرُّد به ما ليس في المُضمر»[٤].

وهذا رأي أبي حيان[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ

---

(١) الدر المصون: ٤٧٩/٥.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٢/٣، والبحر المحيط: ٣١٥/٧، وروح المعاني: ٢٢٦/٢٢.

(٣) تفسير السراج المنير: ٢٨٥/٣.

(٤) الدر المصون: ٢٧٦/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٤٥١/١، واللباب في علوم الكتاب: ٢٢٩/٢.

﴿بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «آمنوا بربهم» فيه التفات من المتكلم إلى الغيبة، إذ لو جاء على نسق الكلام، لقيل: إنهم فتيةٌ آمنوا بنا»[١]. وذكر أبو حيان غرض الالتفات قائلاً: «وفيه التفات إلى التكلم؛ لزيادة الاعتناء بشأنهم»[٢]، وقال أبو السعود: «الالتفات للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم»[٣].

٣- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

نحو قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب: من الآية ٥٠]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «إن أراد النبي» التفات من الخطاب إلى الغيبة بلفظ الظاهر تنبيهاً على أن مسبب ذلك النبوة»[٤].

وذكر أبو السعود أن الالتفات للتكرمة[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: من الآية ٢٢]، قال السَّمين الحلبي: «وقوله: «بهم» فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة»[٦]. فبين نوع الالتفات من

---

(١) الدر المصون: ٤٣٨/٤.
(٢) البحر المحيط: ٢٠٦/٤.
(٣) إرشاد العقل السليم: ٢٠٩/٥.
(٤) الدر المصون: ٤٢١/٥.
(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٠٩/٧.
(٦) الدر المصون: ١٧/٤.

دون ذكر غرضه، ولكنه نقل آراء العلماء في بيان غرض الالتفات في الآية الكريمة، فنقل رأي الزمخشري قائلاً: «قال الزمخشري: فإن قُلتَ: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة كأنَّه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح»[1].

وبعد ذلك يذكر رأي ابن عطية في هذا الالتفات قائلاً: «وقال ابن عطية: «بهم» خروج من الخطاب إلى الغيبة، وحسن ذلك، لأنَّ قوله: «كنتم في الفلك» هو بالمعنى المعقول حتى إذا حصل بعضكم في السفن»[2].

ونراه هنا يُناقش رأي ابن عطية ويردُ عليه قوله في الالتفات قائلاً: «فقدر اسمها غائباً، وهـــو ذلك المضاف المحذوف، فالضمير الغائب يعود عليه ومثله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠]، تقديره: أو كذي ظلمات، وعلى هذا فليس من الالتفات في شيء»[3].

وذكر السَّمين الحلبي أيضاً رأي أبي حيان في غرض الالتفات قائلاً: «وقال الشيخ: والذي يظهر أن حكمة الالتفات هنا هي أن قوله: «هو الذي يسيركم» خطاب فيه امتنان وإظهار نِعَمَهُ للمخاطبين المُسيَّرين في البر والبحر مؤمنين وكفاراً، والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة، ولَّما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا نجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق»[4].

---

(١) المصدر نفسه: ١٧/٤، وينظر: الكشاف: ٣٢٣/٢.

(٢) الدر المصون: ١٧/٤، وينظر: المحرر الوجيز: ١٢٨/٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٧/٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٧/٤، وينظر: البحر المحيط: ١٤٢/٥.

٤- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٣]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «نزلنا» التفاتٌ من الغيبةِ إلى التكلُّمِ؛ لأنَّ قبله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: من الآية ٢١]، فلو جاء الكلامُ عليه لقيل: مما نزَّل على عبده، ولكنه التفت للتفخيمِ»[(١)].

وهذا رأي أبي حيان وغيره[(٢)].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، قال السَّمين الحلبي: «وجملةُ «قلنا» في محلِّ خفضٍ بالظرف، وفيه التفاتٌ من الغيبةِ إلى التكلمِ للعظمة»[(٣)].

وقال أبو السعود: «والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال»[(٤)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: من الآية ٦٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «فأنبتنا» هذا التفات من الغيبة إلى التكلم لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأنَّ إنباتَ الحدائقِ المختلفة الألوان والطُعُومِ مع سقيها بماءٍ واحدٍ

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٥٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ١/٢٤٥، واللباب في علوم الكتاب: ١/٤٣٣، وروح المعاني: ١/١٩٣.

(٣) الدر المصون: ١/١٨٥.

(٤) إرشاد العقل السليم: ١/٨٧.

لا يقدِرُ عليه إلاَّ وحده»[1].

وهذا التوجيه للمعنى موافق لما ذكره أغلب المفسرين[2]. وذهب البقاعي إلى غرض العظمة قائلاً: «عدل إلى التكلم على وجه العظمة فقال: «أنبتنا» أي: بما لنا من العظمة»[3]. وأمثلته متعددة[4].

٥- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومثله مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «إياك نعبد» التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ إذ لو جرى الكلام على أصله لقيل: الحمد لله، ثم قيل: إياه نعبد، والالتفات: نوع من البلاغة»[5].

وهذا ما ذكره أكثر المفسرين[6]، قال ابن جزي: «ذكر الله تعالى في أول السورة على طريق الغيبة ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده وذلك يسمى الالتفات وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه»[7].

---

(١) الدر المصون: ٣٢٢/٥.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣٨٠/٣، والبحر المحيط: ٨٤/٧، وأنوار التنزيل: ٢٧٣/٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٨٦/١٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣١٣/٥.

(٣) نظم الدرر: ٤٣٧/٥.

(٤) ينظر: الدر المصون: ٥١٩/١، ٥٦٤/١، ١٨٥/٢، ٤٩/٣، ٣٥٧/٤، ٤١٣/٥.

(٥) الدر المصون: ٧٥/١.

(٦) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٦٥/١، والكشاف: ٥٥/١، والبحر المحيط: ١٣٩/١، وأنوار التنزيل: ٦٣/١، وإرشاد العقل السليم: ١٦/١.

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل: ٦٤/١.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، قال السَّمين الحلبي: «والخطاب في «إنَّ ربكَ» للرسول محمد ﷺ. وقيل: لإبراهيم الخليل، فعلى هذا يكون فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب منبهاً بذلك على تشريفه له»(١).

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

وأمثلته كثيرة(٢).

◈ خامساً: اللف والنشر:

قال ابن منظور: «اللَّف: الصنفُ من الناس من خيرٍ أو شرٍ، والتفَّ الشيء تجمع وتكاثف، والنَّشرُ، أنشر الله الريح: أحياها بعد موت وأرسلها نشراً ونشراً»(٣).

وعرَّفها السكاكي قائلاً: «اللف والنشر: وهما أن تلف بين شيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين، ثقة بأنَّ السامع يرد كلاً منهما إلى ما هو له»(٤). وقد ذكره القزويني قائلاً: «وهو ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ما لكل واحد، ثقة بأن السامع يرده إليه»(٥).

---

(١) الدر المصون: ١١٤/٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٨٥/١، ٦٤٢/١، ٢٤٧/٢، ٣٦٧/٣، ٤٠٥/٣، ٤٤٠/٢، ٤٧٩/٣، ٥٠٧/٣، ٤٨٧/٤، ٢٣٢/٥، ٣٣٥/٦.

(٣) لسان العرب، مادة (لف) و(شر).

(٤) مفتاح العلوم، ص٤٢٥.

(٥) التلخيص، ص٣٦١.

ثم قسَّمه على حزبين: الأول: أنْ يكون النشر على ترتيب اللف. والآخر: أنْ يكون النشر على غير ترتيب اللف[1].

وتحدث السَّمين الحلبي عن اللف والنشر وذكر أمثلة متعددة في تفسيره، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال السَّمين الحلبي: «وأصله: يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربك لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكسب خيراً، قبل ما تكسبه من الخير بعد، فلفَّ الكلامين، فجعلهما كلاماً واحداً إيجازاً وبلاغة»[2].

وهذا ما ذكره بعض المفسرين[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «وقد أحسن الزمخشري في التعبير عن ذلك فقال: شبّه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع، وهو من اللف والطباق... قلتُ: يريد بقوله: اللف أنَّه لفَّ المؤمنين والكافرين اللذين هما مشبهان بقوله: «الفريقين»، ولو فسرهما لقال: مثل الفريقين المؤمن كالبصير، ومثل الكافر كالأعمى والأصم، وهي عبارة مشهورة في علم البيان. لفظتان

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٣٥٥/٢، والتلخيص، ص٣٦٢.

(٢) الدر المصون: ٣٢٥/٣.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٢٩/٨، وروح البيان: ٩٤/٣، وصفوة التفسير: ٢٨٦/١.

متقابلتان اللف والنشر. وأشار لقول امرئ القيس:

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رطباً ويابساً لدى وكرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي[1]

أصل الكلام: كأن الرطب من قلوب الطير العناب واليابس منها الحشف فلفه ونشر، وللف والنشر في علم البيان تقسيم كبير»[2].

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري والبيضاوي وغيرهم[3]، قال البقاعي: «وهو من باب اللف والنشر المرتب»[4].

وأمثلته متعددة[5].

◈ سادساً: الاستطراد:

الاستطراد لغةً: قال ابن منظور: «واطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى. واطرد الأمر: استقام، واطردت الأشياء إذا تبع بعضها بعضاً، واطرد الكلام إذا تتابع»[6].

الاستطراد اصطلاحاً: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبةٍ بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول»[7].

---

(١) ديوانه، ص١٤٥.

(٢) الدر المصون: ٤/٨٩-٩٠.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢/٣٦٧، وأنوار التنزيل: ٣/٢٢٩، والتحرر والتنوير: ١١/٢٣٦.

(٤) نظم الدرر: ٣/٥١٩.

(٥) ينظر: الدر المصون: ٥/٣٤٩، ٥/٤٤٥.

(٦) لسان العرب، مادة (طرد).

(٧) ينظر: الإيضاح: ١/١١٣، ونهاية الإرب في فنون الأدب: ٢/٣٠٢.

وقد عرَّف السَّمين الحلبي هذا اللون البلاغي بقوله: «وهو أن يمدح شيئاً أو يذمه، ثم يأتي آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله»[1]، وذكر له أمثلة قليلة أذكر منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٨-٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «قد أفلح» فيه وجهان: أحدهما: أنَّه جواب القسم والأصل «لقد» وإنَّما حذفت لطول الكلام. الثاني: أنَّه ليس بجواب وإنَّما جيء به تبعاً لقوله: «فألهمها فجورها وتقواها» على سبيل الاستطراد»[2].

وهذا التوجيه للمعنى هو المشهور بين المفسرين[3].

◈ سابعاً: التقسيم:

التقسيم لغةً: قال ابن منظور: قَسَّمَ: جَزَّأَ، والتقسيم هو تجزئة الشيء وتفريقه[4].

التقسيم اصطلاحاً: اختلفت فيه العبارات، والكل راجع إلى مقصود واحد، وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأنَّ السامع يرده إليه، وعرَّفه السكاكي بقوله: «هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحدٍ من أجزائه ما هو له عندك»[5].

---

(١) الدر المصون: ١٢٧/٤.

(٢) الدر المصون: ٥٣١/٦. وينظر: ٤٥٦/٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ٧٦٤/٤، ومدارك التنزيل: ٣٢٢/٤، والبحر المحيط: ٤٧٥/٨، واللباب في علوم الكتاب: ٣٦٢/٢٠، وتفسير السراج المنير: ٣٩٧/٤، وإرشاد العقل السليم: ١٦٤/٩.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (قسم).

(٥) مفتاح العلوم، ص٢٠١.

وقد ذكر السَّمين الحلبي التقسيم في أمثلة متعددة في تفسيره منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [الزمل: من الآية ٢٠]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «من ثلثي الليل» العامة على ضم اللام وهو الأصل كالرُّبُع والسُّدُس، وقرأ هشام بإسكانها تخفيفاً، قوله: «نصفه وثلثه» قرأ الكوفيون وابن كثير بنصبهما والباقون بجرهما... فالنصب نسقاً على «أدنى»؛ لأنَّه بمعنى وقت أدنى أي: أقرب استعير الدنوّ لقرب المسافة في الزمان، وهذا مطابق لما في أول السورة من التقسيم، وذلك أنَّه إذا قام أدنى من ثلثي الليل صدق عليه أنَّه قام الليل إلاَّ قليلاً؛ لأنَّ الزمان لم يقم فيه يكون الثلث وشيئاً من الثلثين فيصدق عليه قوله: «إلاَّ قليلاً» وأما قوله: «ونصفه» فهو مطابق لقوله: أولاً «نصفه»»[1].

هذا ما نقله من أبي حيان[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٣]، قال السَّمين الحلبي: ««ثلة» أي: من السابقين يعني أن التقسيم يقع في السابقين»[3].

وهذا رأي أبي حيان[4].

وأمثلته متعددة[5].

---

(١) الدر المصون: ٤٠٩/٦، والحجة، ص٧٣١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٨/٨.

(٣) الدر المصون: ٥٥٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٢٠٥/٨.

(٥) ينظر: الدر المصون: ١٨٤/٣، ٢٣/٤، ١٢٨/٤، ٤٠٨/٤.

◈ **ثامناً: التجريد:**

التجريد لغةً: قال ابن منظور: «جرد الشيء: يجرده جرداً وجرَّدهُ: قشَّرهُ»[1].

التجريد اصطلاحاً: وهو أن يُنتَزَعَ من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخرٌ مثلُهُ فيها مبالغة لكمالها فيه»[2].

وقد تناول السَّمين الحلبي التجريد في تفسيره، وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، فقال: «قوله: «فإذا انشقت» جواب مقدر. أي: رأيت هولاً عظيماً. أو كان ما كان، قوله: «وردة» أي: مثل وردة... وهو من الكلام الذي يسمى التجريد»[3].

وهو رأي الزمخشري الذي قال: «وقرأ عمرو بن عبيد (وردة) بالرفع، بمعنى: فحصلت سماء وردة، وهو من الكلام الذي يسمى التجريد، كقوله: فلَئِنْ بقِيتُ لأرحَلنْ بِغَزوَة»[4].

وتبعه أبو حيان والبيضاوي وأبو السعود[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، قال السَّمين

---

(١) لسان العرب، مادة (جرد).

(٢) التلخيص، ص٣٦٨.

(٣) الدر المصون: ٦/٢٤٤.

(٤) الكشاف: ٤/٤٤٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٨/١٩٤، وأنوار التنزيل: ٥/٢٧٨، وإرشاد العقل السليم: ٨/١٨٢.

الحلبي معتمداً على رأي الزمخشري: «قوله: «من أزواجنا» يجوز أن تكون من لابتداء الغاية وأن تكون للبيان قاله الزمخشري وجعله من التَّجريد أي: هَبْ لنا قُرَّة أعينٍ مِنْ أزواجنَا كقولك: «رأيتَ منكَ أسداً»»[١].

وفسَّر أبو حيان الآية بهذا المعنى من دون ذكر لفظ التجريد[٢].

وأمثلته متعددة[٣].

◈ تاسعاً: التورية:

التورية لغةً: قال ابن منظور: «ورِّيتُ الخبر: جعلته ورائي وسترته، ووريت عنه سترته وأظهرت غيره، والتورية الستر»[٤].

وهي **عند البلاغيين:** أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما[٥]. اعتمادا على قرينة خفية، والمراد بالقريب ما يقرب من الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه، ويسمى (المورى به) أي: الذي حمل به الخفاء، والمراد بالبعيد ما بعد عن الفهم لقلة استعمال اللفظ فيه، ويسمى (المورى عنه) أي: الذي وقع عليه الخفاء. والمعنى القريب في التورية يستر المعنى البعيد ويخفيه، حتى كأن المعنى البعيد وراءه وخلفه، وهذا وجه المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتورية[٦].

---

(١) الدر المصون: ٢٦٥/٥، وينظر: الكشاف: ٣٠٢/٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤٧٤/٦.

(٣) ينظر: الدر المصون: ١١٤/١، ٦٢٩/١، ٤٣١/٢-٤٣٢، ٦٥٢/٢، ٤٩٢/٤، ٢٦٠/٥.

(٤) لسان العرب، مادة (ورى).

(٥) ينظر: الإيضاح: ١٣٣/١.

(٦) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع، ص١٢٨.

ولذلك تسمى الإيهام، والتخييل، والمغالطة، ورجح الحموي مصطلح التورية لقربه من مطابقة المسمى[1].

والتورية أربعة أنواع: التورية المبنية، والتورية المجردة، والتورية المرشحة، والتورية المهيأة[2].

وذكر السَّمين الحلبي التورية في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: من الآية ٨٥]، فقال: «قوله: «تفتأ» هذا على جواب القسم في قوله: «تالله» وهو على حذف «لا» أي: لا تفتأُ، ويدل على حذفها أنَّه لو كان مثبتاً لاقترن بلام الابتداء ونون التوكيد معاً عند البصريين، أو إحداهما عند الكوفيين، وتقول: «واللهِ أُحبكَ»، تريد: لا أحبك، وهو من التورية، فإنَّ كثيراً من الناس يتبادر ذهنه إلى إثبات المحبة»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

◈ عاشراً: الاستدراج:

لغةً: الاستدراج من استدرج، استدرجه بمعنى أدناه منه على التدريج فتدرَّج هو، وفي التنزيل العزيز: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، أي: سنأخذهم قليلاً قليلاً ولانباغتهم، وقيل: إنَّ معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون[4].

---

(١) ينظر: المثل السائر: ٢/٢١٥، وتحرير التحبير، ص٢٦٨، ومفتاح العلوم، ص٢٠١، وخزانة الأدب، ص٢٣٩.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٣٨٦.

(٣) الدر المصون: ٤/٢٠٩.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (درج).

وفي الاصطلاح البلاغي: هو التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به، وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يوثق السامع ويطربه؛ لأنَّ مبنى صناعة التأليف عليه ومنشأها منه[1].

وعرف السَّمين الحلبي الاستدراج بقوله: «وهو أن يَذكُرُ لمخاطبِهِ أمراً يُسلِّمُهُ وإن كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي إلى ما يلقيه إليه؛ إذ لو بدأه بما يكره لم يصغ»[2]. ومثل له بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «أو إياكم» عطف على اسم إنَّ وفي الخبر أوجه:

أحدها: أنَّ الملفوظ به «خبرُ» الأول وحذف خبر الثاني للدلالة عليه أي: وإنَّا لعلى هدىً أو في ضلال.

والثاني: العكس أي: حذف الأول والملفوظ به خبر الثاني وهو خلاف المشهور... وهذان الوجهان لا ينبغي أن يُحملا على ظاهرها قطعاً؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يَشُكَّ أنَّه على هدىً ويقين، وأنَّ الكفار على ضلال وإنَّما هذا الكلام جارٍ على ما يتخاطبُ به العربُ من استعمال الإنصافِ في محاوراتهم على سبيلِ الغَرْضِ والتقدير. ويسميه أهل البيان الاستدراج... ونظيره قولهم: أخزى اللهُ الكاذبَ مِنِّي ومنكَ. ومثله قول الآخر:

فأيُّ ما وأيُّــك كــان شَــرًّا ... فقِيدَ إلى المُقامَــةِ لا يراهــا[3]

---

(١) ينظر: الجامع الكبير، ص٢٣٥، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١/١٢٠.

(٢) الدر المصون: ٥/٤٤٥.

(٣) البيت للعباس بن مرداس، ديوانه، ص١٤٨.

وقول حسان ﷺ:

أَتَهجُوهُ ولسْتَ لـــهُ بِكُـــفْءٍ فَشَرُّكُمَا لخيرُكُمَـــا الفِـــدَاءُ[1]

مع العلمِ لكل أحدٍ أنَّه ﷺ خير خلق الله كلهم»[2].

وذكر ابن عطية هذا المعنى من دون التصريح بلفظ الاستدراج قائلاً: «وقوله تعالى: «وأنا أو إيّاكم» تلطف في الدعوة والمحاورة...»[3]، وتبعه الزمخشري والنسفي والنيسابوري[4].

◈ أحد عشر: المبالغة:

لغةً: لها تعريفات متعددة. منها: «الباء واللام والعين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. تقول بلغت الشيء إذا وصلتَ إليه، وقد تسمى المشارفة بلوغاً عن المقاربة، والبُلغَة ما يتبلّغُ به من عيش وكأنَّه يراد أنَّه يبلُغُ رُتبة المكثرُ إذا رضي ومَنعَ، وبالغ يبالغ مبالغة وبلاغاً إذا اجتهد في الأمر والمبالغة أن تبلغ في الأمر جهدك»[5].

ولأجل هذه الدلالة صحَّ أن تطلق وصفاً لمن يبذل أقصى الغاية من جهده وطاقته في الأمر. فالمبالغة ومادتها مؤشر نهاية في الأمر ليس بعده من مزيد[6]. وهذا ما ذهب إليه الزمخشري.

---

(١) ديوانه، ص٧٦.

(٢) الدر المصون: ٥/٤٤٥.

(٣) المحرر الوجيز: ٤/٤٨٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ١/٥٩٠، ومدارك التنزيل: ٣/٣٢٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥/٤٩٦.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ١/٣٠٢، وينظر: لسان العرب: مادة (بلغ).

(٦) ينظر: أساس البلاغة، ص٥٠.

وفي الاصطلاح: عرَّفها الرماني بقوله: «هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة»[1]، وحدَّها أبو هلال العسكري بقوله: «المبالغة: أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه»[2].

وقسّمها البلاغيون على ثلاثة أقسام: تبليغ وإغراق وغلو، وهذا هو التقسيم الشائع عند جمهور البلاغيين قديماً وحديثاً. والذي ثبت عند أهل التفسير ضربان:

الأول: مبالغة في الوصف بأن يخرج إلى حدِّ الاستحالة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: من الآية ٣٥]. ومنه أيضاً: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠][3].

والثاني: مبالغة بالصيغة، وصيغ المبالغة هي: (فعلان) و(فعيل) و(فَعَّال) و(فَعول) و(فَعِلٌ) و(فُعال) و(فُعلُ) و(فُعلى).

وقد أشار السَّمين الحلبي إلى كمٍ كثير من شواهد المبالغة في تفسيره، وقد تناول أغلب صيغها التي ذكرها البلاغيون، ومنها ما قاله في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٧]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «في شقاق» خبر لقوله: «هم»، وجعل الشقاق ظرفاً لهم، وهم مظروفون له مبالغة في الإخبار باستعلائه عليهم، وهو أبلغ من قولك هم مشاقون»[4].

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، ص٩٦، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٨٢/٣.

(٢) كتاب الصناعتين، ص٣٦٥.

(٣) ينظر: شروح التلخيص: ٣٦٦/٤، والإتقان: ٢٤٠/٣.

(٤) الدر المصون: ٣٨٧/١.

وهذا قريب مما ذكره أبو حيان بقوله: «فالشقاق مسوّل عليهم من جميع جوانبهم، ومحيط بهم إحاطة البيت بمن فيه. وهذه مبالغة في الشقاق الحاصل لهم بالتولي»[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «الودود» الودود: مبالغة في الوادِّ»[2].

وهو ما ذكره أبو حيان والآلوسي[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «عجاب» مبالغةٌ في عجيبٍ كقولهم رجل طُوَال وأمرٌ شراع فهما أبلغُ من طويلٍ وسريعٍ»[4].

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان والبيضاوي والبقاعي وأبو السعود[5].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧]، قال السَّمين الحلبي: «والمُدَّخل: مُفتَعل مِنَ الدخول وهو بناء مبالغة في هذا المعنى»[6]. وهو رأي ابن جزي وأبي حيان[7].

---

(١) البحر المحيط: ٥٨٢/١.

(٢) الدر المصون: ٥٠٤/٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٤٥/٨، وروح المعاني: ٩٢/٩.

(٤) الدر المصون: ٥٢٥/٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٦٩/٧، وأنوار التنزيل: ٣٦/٥، ونظم الدرر: ٣٥٩/٦، وإرشاد العقل السليم: ٢١٥/٧.

(٦) الدر المصون: ٤٧٤/٣.

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٦٤/١، والبحر المحيط: ٥٦/٥.

المبحث الثاني

المحسنات اللفظية

◈ أولاً: التجنيس:

لغةً: قال ابن منظور: «يقال: هذا يجانس هذا أي: يشاكله»[(١)].

وفي الاصطلاح: عرفها ابن المعتز بقوله: «وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها»[(٢)].

وأدخله السكاكي ضمن المحسنات اللفظية قائلاً: «وهو تشابه الكلمتين في اللفظ»[(٣)].

وقال عنه القزويني: «وأما اللفظي: فمنهُ الجناس بين اللفظين، وهو تشابههما في اللفظ، والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها»[(٤)]. وهو ضرب من التكرار المؤكد للنغم من خلال التشابه الكلي، أو الجزئي في تركيب الألفاظ، فهذا التشابه في الجرس يدفع إلى التماس معنى تنصرف إليه اللفظتان بما يثيره من انسجام بين نغم التشابه اللفظي ومدلوله على المعنى»[(٥)].

وقد تناول السَّمين الحلبي التجنيس في تفسيره وعُني به، وحدَّد قسماً من أنواعِهِ التي ذكرها البلاغيون في كتبهم.

---

(١) لسان العرب، مادة (جنس).

(٢) كتاب البديع، ص٢٥.

(٣) مفتاح العلوم، ص٤٢٩.

(٤) التلخيص، ص٣٤٨.

(٥) ينظر: جرس الألفاظ، ص٢٨٤.

ومما جاء في تفسيره من أنواع الجناس: تجنيس التحريف: وعرَّفه السَّمين الحلبي بقوله: «التجنيس المُحرَّف وهو أن يقع الفَرْقُ بين اللفظين بحرف»[1]، ومثل لهُ بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]، فقال: «قوله: «تفرحون.. تمرحون» من باب التجنيس المُحَرَّف»[2].

وهذا ما نقله من أبي حيان[3].

وذكر أيضاً تجنيس التشكيل: وعرفه قائلاً: «وهو أن يكون الشكل فارقاً بين الكلمتين»[4]، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: من الآية ١٤]، قال السَّمين الحلبي بعد ذكر قراءات الآية: «... فهذه ست قراءات، وفي بعضها وهو تخالف الفعلين من صناعة البديع تجنيس، يسمى تجنيس التشكيل...، وسماه أسامة بن منقد تجنيس التحريف، وهذه التسمية فظيعة، وتسميته بتجنيس التشكيل أولى»[5].

وهذا الرأي ذكره أبو حيان[6].

ومن أنواع التجنيس التي ذكرها السَّمين الحلبي تجنيس التصريف: وعرَّفه بقوله: «وهو أن تشترك الكلمتان في لفظ ويفرق بينهما بحرف ليس في

---

(١) الدر المصون: ٥٢/٦.

(٢) المصدر نفسه: ٥٢/٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٤٥٥/٣، وتفسير السراج المنير: ٣٩٧/٣.

(٤) الدر المصون: ٢١/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢١/٣.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٩٠/٤.

الأخرى»[1]، وذكر أمثلة متعددة منها مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]، قال السَّمين الحلبي: «وفي قوله: «ينهون عنه، وينأون عنه» انفردت بالهاء، و«ينأون» بالهمزة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [الكهف: من الآية ١٠٤]... وقوله ﷺ: (الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ)[2]»[3].

وهذا ما ذكره أبو حيان[4].

وأمثلته متعددة[5].

وذكر أيضاً التجنيس المماثل:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٣]، قال السَّمين الحلبي: «وقد اشتملت هذه الآية على أنواع من البديع منها: التجنيس المماثلُ في قوله: «ولا تكتموا الشهادة ومَنْ يكتُمْها»[6].

وهذا ما ذكره أبي حيان[7].

---

(١) الدر المصون: ٢٠١/٤، وينظر: ٣٥/٣، و٣٠٥/٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب (الزكاة)، باب (الخيل معقود في نواصيها...): ٢٨٤٩: ٢٩٨/٧.

(٣) الدر المصون: ٣٥/٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٠٤/٤، وإتمام الدراية لقراء النقاية، ص١٣٣.

(٥) ينظر: الدر المصون: ٢٠٨/٤، ٣٠٥/٥.

(٦) الدر المصون: ٦٩٠/١.

(٧) ينظر: البحر المحيط: ٣٧٤/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٥١٤/٤.

وذكر تجنيس التغاير: قال المصري: «هو أن تكون إحدى الكلمتين اسماً والآخر فعلاً»[1]، وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٧٦]، فقال: «وقد اشتملت هذه الآية على نوعين من البديع... والثاني: تجنيس التغاير في قوله: «الربا ويربى»؛ إذ أحدهما اسمٌ والآخرُ فِعْلٌ»[2]. وهو رأي أبي حيان[3]. وأمثلته متعددة[4].

◈ ثانياً: رد العجز على الصدر:

الرد: صرف الشيء ورجعه، والمراد مصدر رددت الشيء[5].

وهو **في الاصطلاح**: لون من ألوان المماثلة اللفظية قوامه أن يرد المتكلم إعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض[6]، ويسمى التصدير[7]، قال ابن القيم الجوزية: «رد العجز على الصدر ويسمى التصدير من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان»[8].

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا اللون البديعي في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية ٥٢]،

---

(١) تحرير التحبير، ص١٠٤، وبديع القرآن، ص٢٨، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٧٢.

(٢) الدر المصون: ١/٦٦٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢/٣٥٠.

(٤) ينظر: الدر المصون: ١/٦٩٠.

(٥) لسان العرب، مادة (ردد).

(٦) ينظر: البديع في علم البديع، ص١٤٥.

(٧) ينظر: تحرير التحبير، ص١١٦، وخزانة الأدب، ص١١٤.

(٨) الفوائد المشوق، ص٢٦٤.

فقال: «وفي هاتين الجملتين ما يسميه أهل البديع: رد الإعجاز على الصدور كقولهم: (عادات السادات، سادات العادات)، ومثله في المعنى في المعنى قول الشاعر:

وَلَيسَ الذِي حَلَّلتِــهِ بِمُحَلَّــلِ   وليسَ الذي حرَّمته بحَرَام[1]»[2]

وقال الزمخشري: «قلت: أما كفى قوله: «ما عليك من حسابهم من شيء» حتى ضم إليه «وما من حسابك عليهم من شيء؟ قلت: قد جُعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة، وقصد بهما مؤدى واحد»[3].

وهذا رأي أبي حيان والشربيني[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٢٧]، قال السَّمين الحلبي: «واشتملت هذه الآية على أنواع البديع... ومنها: رَدُّ الأعجازِ على الصدور، والصدور على الإعجاز في قوله: «تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل» وفي قوله: «وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي»»[5].

وهو ما ذكره أبو حيان[6].

(١) البيت للبحتري وهو في ديوانه: ٢٠٠١/٣.

(٢) الدر المصون: ٧٠/٣.

(٣) الكشاف: ٢٨/٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٤١/٤، وتفسير السراج المنير: ٣٣٦/١.

(٥) الدر المصون: ٥٨/٢.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٤٣٨/٢.

◈ ثالثاً: الترصيع:

لغةً: قال ابن منظور: «رصع الشيء: عقده عقداً مثلثاً متداخلاً، وإذا أخذت سيراً فعقدت فيه عقداً مثلثة فذلك الترصيع. والتَّرصيع: التركيب، يقال: تاج مُرصَّعٌ بالجوهر وسيف مُرصَّعٌ أي: محلّى بالرصائع وهي حلق يُحلّى بها الواحدة رصيعة، ورصع العقد بالجوهر: نظمه فيه وضمَّ بعضه إلى بعض»[1].

وهو **في الاصطلاح البلاغي:** عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها[2]. وعرَّفها السكاكي بقوله: «هو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الإعجاز»[3].

وذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، فقال: «وقد وُجِد هنا نوعٌ من أنواعِ البديع وهو الترصيعُ، وهو عبارةٌ عن تسجيع الكلام، وهو هنا في موضعين، أحدهما «اتبعوا من الذين اتبعوا» ولذلك حَذَفَ عائد الموصولِ الأولِ فلم يقل: من الذين اتَّبعوهم لفوات ذلك. والثاني: «ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب» وهو كثيرٌ في القرآن: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٧]»[4].

وهذا رأي أبي حيان[5].

---

(١) لسان العرب، مادة (رصع).

(٢) ينظر: خزانة الأدب: ٤٠٩/٢.

(٣) مفتاح العلوم، ص١٨٧.

(٤) الدر المصون: ٤٣١/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٦٤٧/١، واللباب في علوم الكتاب: ١٤٦/٣، وصفوة التفسير: ٤٧/١.

◈ **رابعاً: التضمين:**

ضمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أودعه إياه كما تودع الوعاءَ المتاعَ، وقد تضمَّنَه هو، والمضمَّن من الشعر ما ضمنته بيناً[1].

وهو في الاصطلاح يطلق على أشياء:

أحدها: إيقاع لفظٍ موقع غيره؛ لتضمنه معناهُ، وهو نوع من المجاز.

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكرٍ لهُ باسم هو عبارة عنهُ، وهذا نوع من الإيجاز.

الثالث: تعلُّق ما بعد الفاصلة بها، وهذا مذكور في نوع الفواصل.

الرابع: إدراج الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب النظم؛ وهذا هو النوع البديعي[2]. والتضمين بلاغياً هو استعارة كلام الآخر وإدخاله في الكلام الجديد[3].

وذكر السَّمين الحلبي أمثلة كثيرة لهذا اللون البديعي في تفسيره أذكر منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣]، قال السَّمين الحلبي: ««يستحبون» استفعَلَ فيه، بمعنى أفعل، كـ«استجَاب»، بمعنى: أجاب... وضمن معنى الإيثار، ولذلك عدى بـ«عَلَى»»[4].

وهذا رأي الراغب الأصفهاني الذي قال: «أي: إن آثروه عليه، وحقيقته

---

(١) لسان العرب، مادة (ضمن)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٢٦٠.

(٢) ينظر: الإتقان: ٣/٢٢٩، ومعترك الأقران: ١/٣٠٢.

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين، ص٣٦٥، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٢/٢٦٣.

(٤) الدر المصون: ٤/٢٥١.

الاستحباب: أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه، واقتضى تعديته بـــ(على) وحتى الإيثار»[1]، وهذا ما ذكره أبو حيان وغيره[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩]، قال السَّمين الحلبي: «قوله: «بالملأ» متعلق بـــ«من علم» مُضمَّنٌ معنى الإحاطة فلذلك تعدى بالباء»[3].

وهو ما ذكره بعض المفسرين[4].

وأمثلته متعددة[5].

◈ خامساً: القلب:

القلبُ لغةً: تحويل الشيء عن وجهه، قلبه يَقلُبُه قلباً[6].

وهو **في اصطلاح البلاغيين**: من الخروج على مقتضى الظاهر وذلك بأن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر[7].

---

(١) المفردات: ٢٠٦/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٩٣/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٣٣٣/١١، والتحرير والتنوير: ٢١٨/١٢.

(٣) الدر المصون: ٥٤٤/٥.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤٥١/١٦، وتفسير السراج المنير: ٣٤٤/٣، والتحرير والتنوير: ١٨٧/٢٣.

(٥) ينظر: الدر المصون: ١٢٣/١، ٤١/٣، ١٢٠/٣، ٣٦٥/٣، ٥٢٦/٤، ٣٤٠/٦.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (قلب).

(٧) ينظر: شروح التلخيص: ٤٨٦/١، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١٤٠/٣.

وتكلم السكاكي عن هذا النوع البديعي بعد أن جعله من المحسنات اللفظية فقال: «إنَّ هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب، وهي شعبة من الإخراج، لا على مقتضى الظاهر، ولها شيوع في التراكيب، وهي مما يورث الكلام ملاحة ولا يشجع عليها إلاَّ كمال البلاغة، تأتي في الكلام وفي الأشعار وفي التنزيل، يقولون: عرضت الناقة على الحوض يريدون عرضت الحوض على الناقة»(١).

وقد تناول السَّمين الحلبي هذا اللون البديعي في تفسيره بالشرح والتفصيل وتكلَّم في مسألة مشروعيته أهي جائزة أم لا، قائلاً: «وللناس فيه -أي القلب- ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقاً، المنع مطلقاً، التفصيل بين أن يفيد معنى بديعاً فيجوز، أو لا فيمتنع»(٢).

ومن خلال تتبعي لهذا النوع في تفسيره وجدت أنه يُجيز وقوع القلب إذا دلَّ على معناً بديعياً، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥]، قال: «وأضيف «ذائق» إلى ضمير «كل» باعتبار لفظها، ويكون هذا من باب القلب في الكلام؛ لأنَّ النفس هي التي تذوقُ الموتَ وليسَ الموتُ يذوقُها، وهنا جَعَلَ الموتَ هو الذي يذوق النفس قلباً للكلام لفهم المعنى، كقولهم: (عَرَضْتُ الناقة على الحوض)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: من الآية ٢٠]، و(أدخَلْت القَلنسوة في رأسي). وقوله:

مِثْلَ القَنَافِذِ هَدَّاجُون قَدْ بَلَغَتْ ... نجرَانُ أَوْ بُلِّغَتْ سَوْءَاتِهِمْ هَجَـــرُ(٣)

---

(١) مفتاح العلوم، ص٤١١.

(٢) الدر المصون: ٣/٣١٤.

(٣) البيت للأخطل وهو في ديوانه، ص٢٠٩.

الأصل: عرَضْتُ الحوض على الناقة، ويوم تُعرَضُ النارُ عليهم، وأدخلت رأسي في القلنسوة، وبُلِّغت سوءاتهم هجراً، فقَلب»[1].

وأمثلته متعددة[2].

◈ سادساً: التلميح:

التلميح في اللغة: جاء في اللسان: «لمح إليه يَلمَح لمحاً وألمح: اختلس النظر، وقال بعضهم: لمح: نظر»[3].

وهو **في الاصطلاح البلاغي:** «هو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من غير أن يذكره»[4]، وجعله القزويني في باب السرقات[5].

وقد ذكر السَّمين الحلبي هذا النوع في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: من الآية ٩١]، فقال: «قال بعضهم[6]: وفي هذه الآية نوعٌ من البديع يسمى التلويح وهو: أن يُشار إلى قصة مشهورة أو مثلٍ سائرٍ أو شعر نادر في فحوى كلامك من غير ذِكره، ومنه قوله:

---

(١) الدر المصون: ٢/٢٧٧.

(٢) ينظر: الدر المصون: ٢/٨٦، ٢/٤٣٧، ٦/٤٤٥.

(٣) لسان العرب، مادة (لمح).

(٤) نهاية الإيجاز، ص١١٢، وينظر: الإيضاح في شرح مقامات الحريري، ص٢٢، ومعجم المصلحات البلاغية: ٣/٣٤٤.

(٥) ينظر: التلخيص، ص٤٢٧.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٥/٨٨.

اليومَ خمرٌ ويبدوا بعـــده خَبَـــرُ والدهرُ مِنْ بين إنعامٍ وإبْآسِ[1]

يشير لقول امرئ القيس لَّما بلغه قتلُ أبيه: اليومَ خمرٌ وغداً أمر. وقول الآخر:

فواللهِ ما أدري أأحـــلامُ نـــائم ألَمَّت بنا أم كان في الركب يوشَعُ[2]

يُشير إلى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه الشمس...

وكأن هذا الكلامَ وهو ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ﴾[3] اشتُهر ما هو بمعناه بين الناس فأشار إليه مِنْ غير ذكر لفظه. ولما ذكر الشيخ التلميح لم يُقيِّده بقوله: «من غير ذكره» ولابد منه، لأنَّه إذا ذكره بلفظه كان اقتباساً وتضميناً»[4].

(١) البيت لبشار بن برد، ديوانه: ٤/١٠٠.

(٢) البيت لأبي تمام، ديوانه، ص٣٨٧.

(٣) سورة التوبة: الاية ٩١.

(٤) الدر المصون: ٣/٤٩١، وينظر: البحر المحيط: ٥/٨٨.